تدبُّر القرآن الكريم وثماره

إعداد: محمد الأمين أمير

طالب دكتوراه بالجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

قسم القرآن والسنة – كلية أصول الدين بكوالالمبور بأطروحة: "تدبُّر أذكار القرآن الكريم وأثر العمل بها في حياةِ القلوب والأبدان: دراسة وصفية تحليلية".

إشراف الدكتور: جمال أحمد بشير بادي

badi@iium.edu.my
+60132916326

1amine1amir1@gmail.com
+213781002336

مستخلص البحث

موضوع البحث:

يتحدث هذا البحث عن موضوع تدبر القرآن الكريم وأثره الإيجابي على العبد.

أهداف البحث:

١. التعريف بمفهوم التدبر وذكر قواعده وأركانه.

٢. بيان أثر التدبر وفائدته التي ينالها القارئ.

مشكلة البحث:

تثير مشكلة هذا البحث مسألة تدبر أذكار القرآن، وأثر العمل بها في إحياء القلوب والأبدان، وكذا تعلق حياة هذه القلوب بحياة الأبدان وبحياة الأمة ككلٍ. ومن جهة أخرى فإن فهم القرآن الكريم عن طريق التدبر والعمل به أمر مفقود عند كثير من الناس، ولذلك جاء هذا البحث ليجيب عن الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم التدبر في القرآن الكريم؟.

٢. ما قواعد التدبر وأركانه؟.

٣. ما مقاصد التدبر وأهميته؟.

٤. ما ثمرة التدبر وآثاره؟.

نتائج البحث:

١. لا يكون التدبر إلاَّ بتحقيق أصوله وانتفاء موانعه.

٢. تدبر القرآن الكريم يقوى ويزيد عند القارئ بمعرفة حقيقة التدبر ومعرفة مقاصده.

٣. من أهم ثمار تدبر القرآن الكريم درجاته التي ينالها القارئ؛ وهي كالتالي: التفكر والإيمان، التأثر وخشوع القلب والهداية، الإستجابة والخضوع، استخراج الحكم واستنباط الأحكام.

الكلمات المفتاحية: تدبر – القرآن – أثر.

Pondering the Holy Quran and its fruits

Prepared by: Muhammad Al-Amin Amir
PhD student at the International Islamic University Malaysia
Department of the Qur'an and Sunnah - College of Fundamentals of Religion in Kuala Lumpur with a thesis: "Contemplating the remembrance of the Noble Qur'an and the effect of working with it on the life of hearts and bodies: an analytical descriptive study."
The supervision of Dr.: Jamal Ahmed Bashir Badi
badi@iium.edu.my
+60132916326
I obtained my master's degree from the Faculty of Islamic Sciences at Al-Hajj Lakhdar University in Batna with a thesis: "Propaganda indications of jihad verses in the Holy Qur'an."
+1amine1amir1@gmail.com
+213781002336

Summary of the research

Research topic:
This paper talks about the issue of contemplation of the Holy Qur'an and its positive impact on the servant.
research aims:
1- Defining the concept of reflection and mentioning its rules and principles.
2- An indication of the impact and benefit of contemplation for the reader.
Research problem:
The problem of this research raises the issue of contemplating the remembrances of the Qur'an, and the effect of working with them on reviving hearts and bodies, as well as the attachment of the lives of these hearts to the life of bodies and the life of the nation as a whole. On the other hand, understanding the Noble Qur'an through contemplation and acting upon it is a lost issue for many people, and therefore this research came to answer the following questions:
1- What is the concept of reflection in the Holy Quran?
2- What are the rules and principles of reflection?
3- What are the purposes and importance of contemplation?
4- What are the fruits of contemplation and its effects?
research results:
1- The contemplation is only by realizing its principles and eliminating its obstacles.
2- Contemplating the Noble Qur'an is strengthened and increased by the reader by knowing the reality of contemplation and knowing its aims.
3- One of the most important fruits of contemplation of the Noble Qur'an is its degrees that are attained by the reader: They are as follows: reflection and faith, affection and reverence of the heart and guidance, response and submission, extracting judgment and deriving rulings.
Key words: contemplation - Quran - effect.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اجعلنا ممن يذكرك كثيرًا ويسبحك بكرةً وأصيلاً، وارزقنا انشراح الصدر وطمأنينة القلب، والعمل بالقرآن، وفهمه، وصحة البدن وقوته.

أما بعد!

فإن القرآن هو كلام الله ﷻ الذي اختصر به علينا الزمان والمكان لمعرفته سبحانه وتعالى حق المعرفة، فعرَّفنا بذاته العلية وصفاته وبأسمائه الحسنى وأفعاله، دون أن يترك نفوسنا تتيه للوصول إليه، فمن عرف القرآن قد عرف الله، ومن عرف الله فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

ولمَّا كان القرآن الكريم هو طريق الهداية، وفيه أصول الأحكام وقواعد العبادات وسبل الخير والفلاح؛ فإن جهل الأمة الإسلامية وتغافلها عن القرآن الكريم جعلها تعيش في دوامة مشاكل وأزمات لا تنتهي، الأمر الذي يثير القلق في نفوس المسلمين ويسبب مزيدًا من التراجع والوهن.

وما زاد الطين بلَّة هو سوء قراءة هذا الضعف وعدم تشخيص هذا المرض، الذي لا يزال يتفاقم يومًا بيوم، وسنةً بسنة، ولعل أهم خطوات الخروج من هذه المشاكل والأزمات يتمثل في حسن قراءتها؛ بالنظر إليها من مختلف جوانبها لفهمها على الوجه الصحيح، ثم بناء الحل المناسب لها في ضوء القرآن الكريم، وذلك من خلال الفهم الصحيح له، وعدم إغفال الكيفية الصحيحة للانتفاع به؛ لأن فقه القراءة هو طريق الوصول إلى الحل الناجع والسبيل الواضح.

والمُشاهِد في واقع الأمة الإسلامية اليوم يرى أنها تعيش في زمان أعرض فيه كثير من الناس عن تدبر القرآن والعمل بالأذكار؛ "إذ إن صلتهم بكتاب ربهم يكتنفها الهجر والعقوق، وذلك بسبب الغياب القلبي والعجز عن تدبر القرآن"[1] والعمل به.

وعليه ينبغي أن نعلم أن الإيمان بالقرآن كونه كتاب الله والتصديق به فقط لا يكفي، بل يحتاج معه إقبال القلب عليه تلاوةً وفهمًا وتدبرًا وعملاً في كل ميدان من ميادين الحياة؛ لأن القرآن كتاب حياة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]، يقول السيوطي في تفسيره: "هو هذا القرآن فيه الحياة والتقّة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة"[2].

والتدبر والعمل يزيد من حلاوة القرآن وبركته والانتفاع به؛ يقول ابن تيمية: "من أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله، بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره"[3].

كما أن تدبر القرآن الكريم لا يكون إلاَّ بفهم ما يتلى من الآيات، مع حضور القلب، وخشوع الجوارح، وإخلاص ما يلزم من العمل، ولذلك: "فإن أنفع شيء للعبد في معاشه ومعاده هو تدبر كتاب ربه، وإطالة تأمله، وتلاوة

---

[1] **تدبر القرآن الكريم**، لعبد اللطيف التويجري (١٣٣).

[2] **تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي (٤/٤٤).

[3] **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لابن تيمية (٢٧٠).

حروفه، وإقامة حدوده، وإتباع محكمه، والإيمان بمتشابهه، والتفرغ لتعلمه، والقيام بتعليمه؛ حيث إن هذه الأمور تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتجعل في يده مفاتيح كنوز السعادة"[1]، بل إن ذلك هو الغاية من إنزاله؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وفي الآية: "دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر، والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ أي: ليتعظ أهل العقول، والألباب جمع لب وهو العقل"[2].

وليس المقصود من التدبر هو فقط القراءة وحسن التلاوة، وتعلم التجويد وأحكامه، وحفظ آياته وأجزائه، بل الأمر يتعدى ذلك؛ يقول أبو بكر الآجري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧]، أن الله ﷻ أخبر "أن المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون شاهد بقلبه ما يتلو وما يسمع لينتفع بتلاوته للقرآن بالاستماع ممن يتلوه، ثم إن الله عز وجل حثَّ خلقه على أن يتدبروا القرآن"[3]، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، أي: "فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و﴿أَمۡ﴾ بمعنى: بل"[4]، أي بل على قلوب أقفالها، فالمقصود بالتدبر الاتعاظ والخشوع، والعمل بما في كتاب الله عز وجل من شرائعه وأحكامه، والالتزام بأوامره وزواجره.

ومما سبق يتبين لنا أثر تدبر القرآن الكريم والعمل به في حياة القلوب والأبدان، وسيزيد هذا الأثر وضوحًا في تناولنا لمباحث هذه الدراسة.

منهج البحث

يتبع البحث المناهج التالية:

١- المنهج الاستقرائي الوصفي: سيتم توظيف هذا المنهج في تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالقلب ثم تصنيفها على حسب ما تقتضيه مراحل البحث.

٢- المنهج التحليلي: سيتم استخدام هذا المنهج لدراسة المفاهيم الأساسية المكونة لعناصر البحث بتتبع جزئيات الموضوع من خلال أقوال العلماء وتفاسيرهم والباحثين في المسألة ومؤلفاتهم؛ التي عالجت هذه الإشكالية.

خطة البحث

قد اشتملت خطة البحث بعد هذه المقدمة، على تمهيد وثمانية مباحث، وهذا على النحو التالي:

التمهيد: والذي يشتمل على أربعة فصول:

المبحث الأول: مفهوم التدبر في اللغة وفي اصطلاح المفسرين.

---

[1] **كيف نتدبر القرآن**، لفواز أحمد زمرلي (٦،٧).

[2] **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشوكاني (٢٣/١٢٦٢،١٢٦٣).

[3] **أخلاق أهل القرآن**، للآجري (٣٦).

[4] **تفسير البغوي معالم التنزيل**، للبغوي (١١٩٩).

المبحث الثاني: حكم التدبر.

المبحث الثالث: مقاصد تدبر القرآن الكريم.

المبحث الرابع: أهمية تدبر القرآن الكريم.

المبحث الخامس: أصول تدبر القرآن الكريم.

المبحث السادس: موانع تدبر القرآن الكريم.

المبحث السابع: ثمار تدبر القرآن الكريم.

المبحث الثامن: نماذج تدبر القرآن الكريم عند السلف.

ثم بعد هذه الفصول تأتي الخاتمة والتي ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم بعد ذلك تأتي الفهارس، هذا واللهَ أسأله التوفيق والسداد والخروج بالمفاد الذي يستفاد، وأن يقبلنا ويتقبل منا صالح الأعمال وأن يرفعنا في عليِّين نحن ووالدينا ومن سبقونا بالإسلام مع النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم التدبر في اللغة وفي اصطلاح المفسرين

أولا: تعريف التدبر لغة: كلمة تدبر يدور معناها اللغوي حول أواخر الأمور وعواقبها، وفي ذلك اخترنا بعض التعريفات:

١. قال ابن فارس "دبر: الدال والباء والراء، أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء"[٨].

٢. ويقول الزجاج؛ التدبر هو: "النظر في عاقبة الشيء"[٩]؛ وهذا الذي يقول به صاحب اللسان عن التدبير في الأمر: "أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته"[١٠].

٣. وقال الجرجاني؛ التدبر هو: "عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"[١١].

٤. ومن التعاريف اللغوية أيضا[١٢]؛ أن التدبر في الأمر هو: استدامة النظر والتفكر فيه في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرةً بعد مرة.

ومن المرادفات التي تقارب لفظة تدبر: "تفكر، تذكر، تأمل، نظر، اعتبار واستبصار"[١٣].

ثانيا: تعريف التدبر في اصطلاح المفسرين

الاستعمال الاصطلاحي لهذه اللفظة يرجع في الغالب إلى معناه اللغوي، وهذا ما ذكره المفسرون في تعريفاتهم؛ منها قول:

١. ابن عطية بأن التدبر هو: "النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء"[١٤]، وقريب منه قول الرازي بأن التدبير والتدبر: "عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها"[١٥].

٢. الشوكاني بأن التدبير: "أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته، يقال تدبرت الشيء: تفكرت في عاقبته وتأملته، ثم استعمل في كل تأمل"[١٦].

٣. الآلوسي بأن أصل التدبر هو: "التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه"[١٧].

---

[٨] **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس (٦،٥/٢).

[٩] **لسان العرب**، لابن منظور (٢٧٣/٤).

[١٠] **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي (٣٠٥).

[١١] **معجم التعريفات**، للجرجاني (٤٩).

[١٢] انظر: **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، للطيار (١٨٥).

[١٣] **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لابن القيم (٥٢٤/١).

[١٤] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية (٨٣/٢).

[١٥] **مفاتيح الغيب**، للرازي (٢٠٠٢/١٠).

[١٦] **فتح القدير**، للشوكاني (٣١٤/٥)، بتصرف.

[١٧] **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي (٩٢/٥).

٤. ابن عاشور بأن التدبر هو: "التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرا انكشفت له معاني لم تكن بادية له بادىء النظر"[١٨].

ومن ذلك تدبر القول[١٩]، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، والقول هنا هو كلام الله المنزل الذي يخاطَب به المشركون الذين لم يدبّروا القرآن، كما في قوله أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، فتدبر الكلام بصفة عامة هو أن يُنظر في أوله وآخره، ثم يُعاد النظر مرّةً بعد مرّة.

ثالثا: معنى تدبر القرآن

ذكر المفسرون كذلك تعريفات عدة تدور حول معنى واحد وهو التفكر والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه والعمل به؛ يقول:

١. الزمخشري أن تدبُّر القرآن هو: "تأمل معانيه وتبصر ما فيه"[٢٠].

٢. ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، أي: يتأمّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأمّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق"[٢١].

٣. صاحب الكشاف: أن تدبر الآيات هو: "التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة[٢٢]".

وبالنظر إلى هذه التعريفات نقول أن: تدبر القرآن الكريم هو إدراك معانيه، والتفكر في غاياته، بُغية الانتفاع بآياته، والعمل بأوامره.

المبحث الثاني

حكم التدبر

مسلك تدبر القرآن الكريم وفهمه والعمل به هو الأصل الأصيل الذي لا صلاح لنا بدونه، وهو الذي جاءت به نصوص الوحي تترى من أجل ترسيخه فينا، حتى صار من بدهيات الدين، وقد أوجب جملة من العلماء تدبر القرآن الكريم على من يقرأه، فمن ذلك ما نصّ عليه ابن حزم الظاهري بقوله: "أن تدبر القرآن فرض، ومعنى تدبره فهم معاني ألفاظه، وكيف لا يكون فرضا وهو بيان ما افترض"[٢٣].

---

[١٨] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٢٥٢/٢٣).

[١٩] انظر: **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم (٥٢٥/١).

[٢٠] **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري (٢٤٩/٥).

[٢١] **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (١٣٧/٥).

[٢٢] **تفسير الكشاف**، للزمخشري (٩٢٥/٢٣).

[٢٣] **رسائل ابن حزم الأندلسي**، لابن حزم (١٩٨/٣).

وقال بذلك القرطبي؛ أي على وجوب التدبر في القرآن ليُعرف معناه، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وتابعه الشوكاني أيضاً؛ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، على وجوب التدبر للقرآن؛ ليعرف معناه، والمعنى: أنهم لو تدبّروه حق تدبره لوجدوه مؤتلفاً غير مختلف، صحيح المعاني، قوي المباني، بالغاً في البلاغة إلى أعلى درجاتها[٢٤].

وعليه فإن تدبر القرآن واجب على كل قارئ بحسب فهمه وقدراته وطاقاته الإدراكية؛ لأنه لا يعذر أحد بتركه للتدبر مطلقاً، خاصةً أن القرآن قد يسره الله للذكر[٢٥]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وكذلك المثل الذي ضربه الله ﷻ في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]؛ هو حثٌّ على تأمل مواعظ القرآن وتبيّين أنه لا عذر في ترك التدبر، لأنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشقّقة من خشية الله[٢٦]، هذا حال الجبال التي لا تتحرك، فكيف بمن سخّر الله له كل شيء؟

وقول متأخري الأصوليين: إن تدبر القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا لمجتهد خاصة.. قولٌ لا مستند له من دليل شرعي أصلاً، بل الحق الذي لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمها والعمل بما علم منهما.. ولو آية واحدةً أو حديثاً واحداً[٢٧].

فتدبر القرآن مطلوب، لا تقوم حياة المؤمن إلا به، فهو ضرورة، ورفعة في الدنيا والآخرة، قَال عمر ﷺ: أَمَا إنّ رسول الله ﷺ قد قال: إنّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين"[٢٨].

ولقد جاء الأمر بتدبر القرآن الكريم في النصوص القرآنية:

١. إما بلفظة صريحة؛ كقوله تعالى:

أ. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ب. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

ج. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

٢. أو من خلال مخاطبة أولي الألباب والنهى؛ كقوله تعالى:

أ. ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

ب. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

ج. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

---

[٢٤] **فتح القدير**، للشوكاني (٣١٤/٥).

[٢٥] **تدبر القرآن الكريم**، لعبد اللطيف التويجري (٦١).

[٢٦] **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٣٨٨/٢٠).

[٢٧] **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشنقيطي (٤٥٩/٧).

[٢٨] **سنن الدارمي**، (٢١١٩/٤)،كتاب فضائل القرآن، باب إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع آخرين، (ح٣٤٠٨)، وقال الداراني: إسناده صحيح.

وممّا يدلّ على الحثّ، والأمر بتدبر القرآن في السنة النبوية حديث عائشة رضي الله عنها، لمّا سألها عبيد بن عمير بقوله: "أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ قال: فسكتت، ثم قالت: لمّا كان ليلةٌ من اللّيالي قال: «يا عائشةُ ذرِيني أتعبّدُ اللّيلة لربِّي»، قلتُ: واللَّه إنّي لأحبّ قُربَك، وأحِبُّ ما سَرّك، قالت: فقام فتطهّر، ثمّ قام يُصلّي، قالت: فلَم يزل يبكي حتّى بَلَّ حِجرَه، قالت: ثمّ بكى فلم يزل يبكي حتّى بَلَّ لحيتهُ، قالت: ثمّ بكى فلم يزل يبكي حتّى بلّ الأرض، فجاء بلال يُؤْذِنُه بالصّلَاة، فلمّا رآه يبكي قال: يا رسول اللَّه لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم وما تأخّرَ؟، قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت عليّ اللَّيلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..** ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، الآية كلها»"[٢٩]، وهكذا كان تدبره ﷺ؛ تدبّر من يتعظ بما أنزل إليه ويعمل بما أمر به.

المبحث الثالث

مقاصد تدبر القرآن الكريم

المقصد الأسمى من تدبر القرآن الكريم هو اتباع كلام الله؛ وذلك بالاعتناء بالمضمون واستخراج المكنون والعمل بالمأمور، ولذلك كان مُستهلُّ التدبر فِكر ومنتهاه عمل، قال وهب: "ما طالت فكرة أحد قط إلاّ علم، وما علم أمرئ قطّ إلاّ عمل"[٣٠]، ويزيد على ذلك ابن القيم بقوله: "الفكر وثمرته العلم، وثمرتهما الحالة التي تحدث للقلب، وثمرة ذلك الإرادة، وثمرتها العمل"[٣١]، ومن هنا يتبين لنا أن التدبر مبدأه الفكر ومقصده الفعل؛ قال الحسن البصري: "إنّ من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار"[٣٢]، وهذا هو مراد الله تعالى من انزال القرآن؛ ليتدبر ويتفكر فيه، ويعمل به، لا لمجرد تلاوته والإعراض عنه.

ولذلك شكَى النبي ﷺ إلى ربه، فقال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، ذكر ابن كثير في تفسيره: أن "ترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه"[٣٣].

وذمَّ القرآن من لم يتدبره، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، بمعنى: "ألا يتفهمونه فيعلمون ما أعد الله للذين لم يتولوا عن الإسلام، بل كان على قلوبهم أقفالٌ أقفَلَها الله ﷻ عليهم فهم لا يعقلون"[٣٤]، ولمّا تلَى النبي ﷺ هذه الآية قال شابٌ من أهل اليمن: "بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر حتى وُلِّي فاستعان به"[٣٥].

---

[٢٩] **صحيح ابن حبان** (١٥٧). كتاب الرقائق، باب التوبة، (ح٦١٩). وقال الخداش: حديث حسن.

[٣٠] **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم (٥١٧).

[٣١] **المرجع نفسه** (٥٢٦).

[٣٢] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية (٣٩/١).

[٣٣] **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير (١٠٨/٦).

[٣٤] **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٢٧٥/١٩).

[٣٥] **معالم التنزيل**، للبغوي (١١٩٩).

وذكر القرطبي حديثاً مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: «إن عليها أقفالاً كأقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها». وأصل القفل اليبس والصلابة، نسأل الله السّلامة[٣٦].

فإذا أقفل القلب أقفل عليه التدبر والفهم، ولن يصل إليه الهدى والنور؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، فقسوة القلب سبب للضلال عن الحق المبين وسبب للصدِّ عن القرآن وتفهمه وتأمله وتدبُّره، ولذلك توعدهم الله ﷻ بالويل الشديد، ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وهذا هو الفرق بين القلب الحي الذي يحيى به صاحبه الحياة الطيبة، وبين القلب الميت الذي يتخبط في الظلمات، لا يعرف النور له طريقاً ولا الهداية له سبيلاً.

يقول ابن مسعود ﷺ أنه: "أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه عملاً، إن أحدهم ليتلوا القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به"[٣٧]، وقال الحسن البصري: "أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً"[٣٨].

وممّا ابتلي به المسلمون ويصدق علينا اليوم؛ ما قاله الزمخشري عن الحسن: "قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، حتى إنَّ أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلقٍ ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء، اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين، وأعذنا من القراء المتكبرين"[٣٩].

ومن مقاصد التدبر: طلب الهدى والوصول إلى الحق؛ فمن تدبر القرآن باحثاً عن الهدى منه؛ وصل إلى طريق الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ..﴾ [الإسراء:٩]، فهذا القرآن المنزل على النبي ﷺ يرشد ويسدّد من اهتدى به إلى السبيل الأقوم، والذي ضلّ عنه سائر أهل الملل الأخرى[٤٠]، المكذبين بالقرآن، والمعرضين عنه، والمتكبرين في الأرض بغير الحق، فهم ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فالقرآن من أعظم المنن التي أمتنها الله على عباده حيث أرشدهم به بادئ الأمر قبل أن تتيه النفوس وتضل القلوب، فقبله كانت العرب تقول في الاسترشاد قيلاً: "أن فلاناً لو استقبل من أمره ما استدبره لهُدي لوجهة أمره؛ أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره"[٤١]، فكيف إن علم بدأ أمره الحق الذي في القرآن لا شك أنه سيهتدي

---

[٣٦] **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٢٧٥/١٩).

[٣٧] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية (٣٩/١).

[٣٨] **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم (٥٣٧).

[٣٩] **الكشاف**، الزمخشري (٩٢٥).

[٤٠] انظر: **تفسير الطبري** (٥١٠/١٤، ٥١١).

[٤١] **لسان العرب**، لابن منظور (٢٧٣/٤).

ويسترشد أمره كله أوله وآخره، دون أن يضل أو يشقى: ﴿طه ۞وَتُنذِرَ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١-٢]، وهذا هو الذي فهمه سلف هذه الأمة، وهذا هو الفرق الذي بيننا وبينهم من تدبر القرآن واتباعه والعمل بما فيه، قال الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله: "عدمُ التدبُّر أفقدَنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل، وإنّنا لننتعش من هذه الكَبوة إلاَّ بالرجوع إلى فهم القرآن واتباعه"[٤٢].

المبحث الرابع

أهمية تدبر القرآن الكريم

لا شك أن التدبر له أهمية بالغة، تجعل الإنسان يسعى جاهداً لتحصيل هذا التدبر فهماً وعملاً، وتظهر هذه الأهمية من خلال ما يلي:

١. أن التدبر هو الغاية الأكبر من تنزيل كلام الرقيب الأكرم، فعزَّ مِن قائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وغيرها من الآيات السالفة التي جاء فيها الحثُّ على تدبّر القرآن الكريم، قال الإمام السعدي في تفسيره لهذه الآية: أنّ "الحكمة من إنزاله؛ ليتدَبَّر النّاس آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحِكَمَها، فإنه بالتدبُّر فيه والتأمُّل لمعانيه وإعادة الفكر فيها مرةً بعد مرةٍ تُدرك بركتُه وخَيرُه، وهذا يدلُّ على الحثِّ على تدبّر القرآن، وأنّه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود"[٤٣].

٢. الاقتداء بالنبي ﷺ في تدبره للقرآن الكريم، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فكان صلوات ربي وسلامه عليه يقرأ كلام ربِّه ﷻ قراءةَ المتدبِّر الفاهم العامِل بمَا علَّمه الله سبحانه، فعن أبي ذر ﷺ قال: "صلى رسول الله ﷺ ليلةً فقرأ بآيةٍ حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فلمّا أصبحَ، قلت: يا رسول الله، مازلت تقرأُ هذه الآيةَ حتى أصبحتَ، تركع بها وتسجد بها، قال: «إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيهَا، وهي نائلة -إن شاء الله- لمن لا يشرك بالله شيئاً»[٤٤]، فانظر كيف بَقي النبي ﷺ مع الآية الواحدة يسأل بها حتى أُعطِيها وأُمَّتَه من خيرها وبركتها، فماذا بنا لا ننفع أنفسنا وأُمّتنا؟!؛ بتدبّرنا لكتاب ربّنا، وقدوةً لنبينا ﷺ في منهجه، وهديه، وتدبره في الآية الواحدة حتى أصبحَ طوالَ ليلةٍ كاملة.

٣. ضعفنا وحاجتنا إلى ما يقوّي القلب ويحرّكه، ولا يكون ذلك إلاّ من خلال تدبّر القرآن العظيم؛ يقول العلامّة ابن باديس رحمه الله: "قلوبنا معرضة للضعف عن القيام بأعباء التكليف، وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة، ويبعث فيها الهمة، هو القرآن العظيم، فحاجتنا إلى تجديد تلاوته، وتدبره، أكيدة جداً؛ لتقوية قلوبنا باليقين،

---

[٤٢] **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، لأحمد طالب الإبراهيمي (٣٢٧/١).

[٤٣] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للسعدي (١٤٩٣/٧).

[٤٤] **مسند أحمد**، (٢٥٦/٣٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

وبالعلم، وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل"[٤٥]، وهكذا من ليس لديه هذه القوة و"لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئاً"[٤٦]، ولم ينتفع منه جزءاً.

٤. حالة الأمة اليوم والأحداث الجارية والمتغيرة "تحتاج منا عكوفاً على كتاب الله تعالى؛ لاستلهام المنهج الرباني في الحكم والتعامل، وجرب أن تقرأ القرآن قراءة خاصة لهذا الغرض؛ فستجد القرآن وكأنه يتنزل على الأحداث، ويكشف لك سنن الله في الأمم والمجتمعات"[٤٧].

وممّا يستوقفنا في حالة الأمة اليوم من الفوضى العارمة والمظاهرات الحاشدة، ما قاله ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]، أنّ: هذا تَهِيجٌ لِلأُمَّة على الاستغفار، وعلى التسبيح أطراف الليل والنهار[٤٨].

فلَو هُيِّجَت الأُمّة اليوم على الاستغفار لفُتحت لها المغاليق حتى ولو كانت من المستحيلات، فلو صَدَقنا لنُصِرنا، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، ولو لاحَظنا هذه الآية التي يبشِّرُ اللهُ فيها عبادَه المؤمنين بالنّصر؛ لوجدناها أَتَت قبل أن يأمرهم الله تعالى بالصبر والاستغفار والتسبيح، وذلك ليَعلَم عبادُه أنه قدَّم لهم النصر الأكيد، وما بقي عليهم إن أرادوه حقاً؛ إلاّ التدبر والعمل بما أمرهم به سبحانه وتعالى.

المبحث الخامس

أصول تدبر القرآن الكريم

المُلاحظ أن الآيات الواردة في القرآن الكريم الداعية إلى التدبر جاءت بصيغة الفعل وليس الاسم، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن تدبر القرآن وظيفة عقلية، وفعل من أفعال العقل الإنساني المتواصلة، فالإنسان يولد وهو مزود بقدرات عقلية متعددة، ومنها القدرة على التدبر والنظر في العواقب وتأمل النتائج؛ وهذا ما يحتاج إلى: تنمية وتطوير، وتدريب لتحسين هذه القدرة[٤٩].

وفي هذا المطلب سنتكلم عن المنهج الصحيح في أصول فهم القرآن المجيد وتدبره؛ وعلى المتدبر أن يتبعها ولا يُخلَّ بها؛ يقول ابن عبد البر: "طلب العلم درجاتٌ ومناقِل ورتبٌ لا ينبغي تعديها، ومن تعدّاها جملةً فقد تعدّى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدّى سبيلهم عامداً ضلّ، ومن تعداه مجتهداً زلّ"[٥٠]، وهذه الأصول هي ثلاثة كالتالي[٥١]:

---

[٤٥] **آثار ابن باديس**، لابن باديس (٤١٧).

[٤٦] **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي (١٥٥/٢).

[٤٧] **ليدبروا آياته**، لمجموعة من المؤلفين، (ج١٢/٤).

[٤٨] انظر: **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (١٥١/٧).

[٤٩] انظر: **المعين على تدبر الكتاب المبين**، لسعد حنتوس (٦).

[٥٠] **جامع بيان العلم وفضله**، ليوسف النمري (١١٢٩/٢).

[٥١] انظر: **دليل فهم القرآن المجيد**، لابن مسفر العتيبي (٤٠).

الأصل الأول: تحقيق المطالب الإيمانية: من أساسيات التدبر تحقيق المطالب الإيمانية والتي يندرج تحتها ما يلي:

١. الإيمان: ينبغي الإيمان بالله، وتجب معرفته؛ من خلال فهم وتدبر كلامه ومعرفة صفاته ﷻ، وهذا الذي حثَّ الله عباده عليه؛ قال محمد بن الحسين الآجري: "ألاَ ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم، كيف يحثّ خلقه على أن يتدبروا، ومن تدبَّر كلامَه عرف الربّ ﷻ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضّله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرضِ عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذَر ممّا حذَّره مولاه الكريم، ورغَب فيما رغّبه فيه"[٥٢]، وهذا هو عين التدبر.

وممّا يزيد الإيمان: تعلم القرآن وتعليمه، يقول النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٥٣]، ويدخل في ذلك: "تعليم حروفه ومعانيه جميعا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيماناً، وأنتم تتعلمون القرآن، ثم تتعلمون الإيمان"[٥٤]، فكان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون الإيمان قبل القرآن، فيزدادون به إيماناً؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فرحاً وسروراً لِمَا رزقهم الله من الإيمان، وامتن عليهم بالهداية والرشاد وتدبر هذا الكتاب.

٢. تقوى الله ﷻ: والتقوى هي أن يخاف العبد خالقه ويخشاه، ويجتنب كل ما نهاه عنه، ويأتمر بما أمره به سبحانه، فتكون تقوى الله وتعظيمه ﷻ من خلال تعظيم كلامه وآياته، والشعور بفضله وكرمه وامتنانه، والتقوى لا تكون بالتحلي أو التمني، ولكن ما كان في القلب -كما قال النبي ﷺ: «التقوى هاهنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرات[٥٥]- وعملٌ بالجوارح بما يرضي الله سبحانه؛ فيترك الزواجر ويقوم بالأوامر.

وقد قيل إن عمر بن الخطاب سَأل أُبيّ بن كعب رضي الله عنهما عن التقوى فقال له: "أما سلكت طريقاً ذا شوكٍ؟، قال: بلى، قال: فما عملت؟، قال: شمّرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى"[٥٦].

فالتقوى مطلوبةٌ من متدبر القرآن الكريم، بل وهي التي تأتي بالتدبر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، فالذين يتقون هم الذين يتدبَّرون، وعليه ينبغي للمتدبِّر الازدياد من التقوى كما أمر الله في قوله سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، لأن التقوى تجلب محبة الله؛ ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ومن أحبه الله فهو معه في حفظه ونصرته؛ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

٣. الإخلاص: الإخلاص أساس التدبر وهو عكس الرياء، والقراءة الخالصة هي التي يراد بها وجه سبحانه، وليس شيئاً سوى ذلك؛ كحب الشهرة وثناء الناس وغيرها من المطالب الدنيوية، فينبغي للمتدبر حال قراءته للقرآن الكريم أن

---

[٥٢] **أخلاق أهل القرآن**، لأبي بكر الآجري (٣٦).

[٥٣] **صحيح البخاري**، (١٢٨٤)، كتاب فضائل القرآن٦٦، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه٢١، (ح٥٠٢٧).

[٥٤] **مجموع الفتوى**، ابن تيمية (٢١٧/١٣). وانظر: **سنن ابن ماجه** (٢٣)، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في الإيمان، (ح٦١).

[٥٥] **صحيح مسلم**، (١١٩٣/١). كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، (ح٢٥٦٤).

[٥٦] **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (١٦٤/١).

يستحضر رؤية الله له، وإن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه؛ كما قال ذلك النبي ﷺ في حديثه عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٥٧]، فالإخلاص والنية الصالحة تحقق الخير العميم، إذ يبلغ المرء بإخلاصه ونيته مالا يبلغه بعمله.

والرياء يذهب بالعمل كله لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وفي هذا يروي أبو هريرة ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في أول الناس يُقضى يومَ القيامة عليه، فذكر منهم: «ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتِي به فعرَّفه نِعَمه فعَرَفَها، قال: فما عملت فيها؟، قال: تعلمت العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلَّمتَ العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئٌ، فقد قِيل، ثم أُمر به فسُحبَ على وجههِ حتى أُلقِيَ في النار.. »[٥٨]، وهذا جزاء الذين أشركوا مع الله غيره في العبادات، ولم يُخلصوا له أعمالهم، فحقت لهم نار جهنم.

فعلى المتدبّرِ أن يحذَرَ من الرياء والشرك؛ لأن الله لا يقبلُ العمل الذي فيه رياء ولا الذي أشرك فيه غيره سبحانه، فعلى العبد أن يُخلص أعماله لله؛ لأنه صفة عباد الله المتقين والمصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام؛ فقد امتدح الله نبيه بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

٤. الخشوع: ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والخضوع بين الخوف والرجاء؛ ليحصل له المقصود: وهو التدبر المطلوب، لتنشرح به الصدور، وتستنير به القلوب، وإذا قويت للعبد . مراقبة الله وخشيته له سبحانه . قَوِيَ تدبُّره لِمَا يتلوه من الآيات والذكر الحكيم.

ومن دلائل الخشوع: البكاء، وهو صفة العالمين بالله؛ الذين امتدحهم الله في قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ويخرون للأذقان؛ "هذه مبالغة في صفتهم ومدحٌ لهم، وحقٌّ لكل من تَوسَّم بالعلم وحصَّل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويَذِّل"[٥٩].

ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء؛ لأنه صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين[٦٠]، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، قال عبد الأعلى التيميّ: "فمن أوتي من العلم مالا يبكيه فليس بخليق أن يكون أوتي علماً ينفعه"[٦١]، ولذلك كان الصحابة أعلم الناس بعد الأنبياء وأخشاهم لله –فهم خير القرون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين– فكانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ

---

[٥٧] **صحيح البخاري**، (٢٣)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، (ح٥٠). **صحيح مسلم**، (٢٤)، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، (ح٩).

[٥٨] **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة٣٣، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار٤٣، ج٢، ص٩١٩، رقم ١٩٠٥.

[٥٩] **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (١٨٩/١٣).

[٦٠] **الأذكار النووية**، النووي (٩٠).

[٦١] **فضائل القرآن**، الهروي (١٤٠).

الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، و﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وكانوا ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

ومن هؤلاء الصحابة الكرام عمر ﷺ؛ الذي كان يمرُّ بالآية في ورده، فتخنقه فيبكي حتى يلزم بيته، فيعوده الناس يحسبونه مريضاً[٦٢]، وعن عبيد بن عمير قال: صلى بنا عمر بن الخطاب ﷺ صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها حتى بلغ: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، بكى حتى انقطع فركع، وفي رواية أنه لمَّا انتهى إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، بكى حتى سُمع نشيجه من وراء الصفوف[٦٣].

وهكذا هو حال المؤمنين الصالحين أثناء تلاوة القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وإذا لم يجدوا الخشوع والبكاء سألوا عنه؛ فقد روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أنه قرأ سورة مريم حتى انتهى إلى السجدة ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]،فسجد بها، فلمّا رفع رأسه قال: هذه السجدة قد سجدناها، فأين البكاء؟"[٦٤].

فالذي يسأل عن البكاء ويبحث عن الخشوع والتضرع لله؛ لا شك أنه يريد الاصطفاف في أعلى درجات التدبر، وَيَا حظَّ من كان منهم، قال عمر ﷺ في كلام بديع: "إن لله عباداً يميتون الباطلَ بهجره، ويُحيُون الحقَّ بذكره، رَغِبُوا فَرغِبُوا، ورَهِبُوا فرُهِبُوا، خافُوا فلا يأمنون، أَبصَروا من اليقين ما لم يَعَاينوا فخَلَطُوه بما لم يُزايِلُوه، أخلَصَهم الخوف فكانوا يَهجُرون ما يَنقَطِع عنهم لما يبقى لهم، الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة، فزُوِّجُوا الحور العين، وأُخدِمُوا الولدانَ المخلدين"[٦٥].

الأصل الثاني: تحقيق المطالب العملية: على قارئ القرآن أن يتبع في قراءته طريقاً محدداً، بخطوات واضحة؛ للوصول إلى التدبر، وذلك من خلال هذه المراحل:

١. آداب التلاوة: وأول هذه المراحل هو الأخذ بآداب التلاوة:

أ . اختيار أفضل الأماكن لتلاوة القرآن –عن أبي ميسرة قال: "لا يذكر الله إلاّ في مكان طيب"[٦٦]– وكذا اختيار الأوقات الفاضلة؛ كالثلث الأخير من الليل ووقت السحر، وغيرها من الأوقات التي تسكن فيها النفس ويطمئن فيها القلب، ومن "لا يعطي القرآن إلاَّ فضول أوقاته، ولحظات ترقبه وانتظاره، فجدير ألاَّ تخلص إلى قلبه كثير من معانيه"[٦٧].

---

[٦٢] **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الأصفهاني (٥١/١).

[٦٣] **فضائل القرآن**، الهروي (١٣٨،١٣٧).

[٦٤] **المرجع نفسه**، (١٤٠).

[٦٥] **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الأصفهاني (٥٥/١).

[٦٦] **التبيان في آداب حملة القرآن**، للنووي (٧٩).

[٦٧] **أفلا يتدبرون القرآن**، لناصر العمر (١٥٣)، بتصرف.

ب . ينبغي على القارئ إذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وغيره.. يقول النبي ﷺ: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[٦٨]، وعن عليّ ﷺ قال: "إن أفواهكم طرق للقرآن، فطيّبوها بالسواك"[٦٩]، وعلى القارئ كذلك أن يأخذ بالسنن المنقولة عن النبي ﷺ حال قراءة القرآن كالطهارة وغيرها.

ج . أن يأتي القارئ بالاستعاذة والبسملة: فلقد أقسم الشيطان بعزة الله أن يغوي البشر ويحرفهم عن الصراط المستقيم؛ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ولذلك أُمرنا أن نستعيذ منه؛ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، فالشيطان يصرف الإنسان عن فهم القرآن وتدبره ويشغله بكل شيء عدَا المقصود من القرآن والانتفاع به، فوجب الالتجاءُ إلى الله من الشيطان ليسلم الإنسان من شره.

ثم تأتي بعد ذلك البسملة، وهي قول القارئ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وهي موجودة في أوائل سور القرآن ماعدا براءة، وحقيقتها أنها "دعاء وتوسل إلى الله بثلاثةٍ من أسمائه: الله، الرحمن، الرحيم، ليمدك بالعون والبركة فيما أنت مقبل عليه، وما تريد أن تقوم به"[٧٠]، ومن ذلك أن يفتح الله عليك باب تدبر كتابه عند قراءته.

٢. الإنصات وحسن الاستماع: الله يوجهنا بأن نتعامل مع القرآن إذا قرأ بالاستماع والإنصات؛ الذي يولد الخشية والإنابة من الله طلباً لرحمته ومغفرته، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه كان يحب سماع القرآن من غيره فقال لصحابيّه عبد الله بن مسعود ﷺ: «اقرأ علي، قال: قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال لي كُفَّ، أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان»[٧١]، وهذا خشوعاً منه ﷺ وإخباتاً لكلام ربه سبحانه، وهذا هو مقصود الاستماع إلى القرآن؛ مساعدةً على تدبره، خاصةً إذا كانت التلاوة حسنة فالنفس تطيب للاستماع لها، فحسن الاستماع يهيئ لحسن الفهم وحسن الفهم يهيئ لحسن التدبر.

٣. التلاوة الحسنة: جاءت أحاديث عدة تحثُّ على تحسين الصوت بتلاوة القرآن؛ منها:

أ . عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن»[٧٢].

ب . عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «زيّنوا القرآن بأصواتكم»[٧٣]، وفي رواية ﷺ قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين:١]، فلم أسمع أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه»[٧٤].

---

[٦٨] **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، (٤٦٥)، (ح١٩٢٣).

[٦٩] **سنن ابن ماجة**، (١٠٦/١)، أبواب الطهارة وسننها، باب السواك، (ح٢٩١)، صححه الألباني.

[٧٠] **المعين على تدبر الكتاب المبين**، لسعد حنتوس (٦١).

[٧١] **صحيح البخاري**، (١٢٨٩)، كتاب التفسير، باب البكاء عند قراءة القرآن، (ح٥٠٥٥).

[٧٢] **المرجع السابق**،(١٢٨٣)، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنى بالقرآن، (ح٥٠٢٣). ورواه مسلم في **صحيحه**، (٣٥٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (ح٨٩٢).

[٧٣] **سنن ابن ماجه**، (٤٢٦)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، وقال الألباني في صحيح الجامع: حديث صحيح.

[٧٤] **صحيح البخاري**، (١٨٦٥)، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة»، (ح٧٥٤٦).

ج ـ عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»[٧٥].

هذه الأحاديث وغيرها ممّا تدلُّنا على أنه يستحب تحسين الصوت دون الإخلال بأحكام التجويد، كترعيد الغنن وتمطيط المدود وغيرها، فليس المطلوب من قراءة القرآن هو مجرد التغني بألفاظه مع الصوت الجميل بالأداء فقط، فإنه لا يكفي ما لم ينتفع الإنسان بالقرآن ويستفيد منه ويخشع عند سماعه؛ قال السندي: "المطلوب من تحسين الصوت بالقرآن أن تنتج قراءته خشية الله فمن رأيتم فيه الخشية فقد حسن الصوت بالقرآن المطلوب شرعاً فيعد من أحسن الناس صوتاً"[٧٦].

٤. استحضار جميع الحواس: لا بُد على قارئ القرآن حال تدبُّره أن يستحضر جميع حواسه، فيتفاعل قلبه مع الآيات بحضوره، وتتحرك جوارحه مع الهمَّة وقت تلاوته، وعلى الإنسان أن يجاهد نفسه في ذلك فالقلب يتقلب والنفس تتبدل، فإن غاب قلبك في البداية لا تفشل لأنه سيأتي في النهاية. ﷺ

٥. التدرج بالآيات: التدرج في قراءة الآيات والعمل بها هو الذي يزيد من سهولة التدبر، بحيث نذهب بالمهل لتهيئة النفس للوصول إلى أعلى مراتب التدبر، فلا يمكن أخذ القرآن دفعة واحدة وقد نزل مفرقاً في التنزيل على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن كلام الله ثقيل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، يثقل على الإنسان أخذه إلاَّ بتُؤَدة؛ فعن بعض أصحاب رسول الله ﷺ: "أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل" [٧٧].

٦. التلاوة بتفهم وتمهل: ممّا يعين القارئ على التدبر هو القراءة بتمعن في معاني الآيات وموضوعات السور، فيقف لإعمال العقل وفهم المراد، يقول ابن مسعود ﷺ: "لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة"[٧٨]، أو إكمال جزء أو ختمة، بل يكون المقصود هو التدبر والتفكر فيما يقرأ من آيات الله ﷻ.

فينبغي للتالي أن يستوضح من كل آيةٍ ما يليق بها، ويتفهم ذلك، فإذا تلا مثلاً قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فليعلم عظمته ويتلمح قدرته في كل مايراه، وإذا تلا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، فليتفكر في نطفة متشابهة الأجزاء، كيف تنقسم إلى لحم وعظم، وعرق وعصب، وأشكال مختلفة من رأس ويد ورجل، وهكذا ليتأمل بديع الخلق ودقة الصنع[٧٩].

فالتلاوة بتفهم وتمهل هي القراءة التأملية التي تكون بالوقوف على الآية وقفة متأنية فاحصة مراتٍ ومرات، ليستخرج منها بعض ما يتفضل الله عليه من الفهم والتدبر، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾

---

[٧٥] **المرجع نفسه**، (١٨٦٠)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وأسروا قولكم أو اجهروا به) ، (ح٧٥٢٧).

[٧٦] **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للمباركفوري (٢٩٣/٧).

[٧٧] **مسند أحمد** (٤٦٦/٣٨)، وقال شعيب الرنؤوط: إسناده حسن.

[٧٨] **أخلاق أهل القرآن**، لأبي بكر الآجري (٣٨).

[٧٩] **مختصر منهج القاصدين**، لابن قدامة (٦٦).

[المزمل: ٤]، أي: "اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره"[٨٠]، وروي أن رجلًا قال لعبد الله بن عباس: "إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبرها وأرتِّلها، أحبُّ إليَّ مِن أن أقرأ كما تقول"[٨١].

الأصل الثالث: تحقيق المطالب العلمية: من أصول التدبر تحقيق المطالب العلمية، والتي تتمثل في المعارف اللازمة لفهم القرآن ومعانيه، وهي التي ينبغي الحصول عليها كما يلي:

١. دراسة اللغة العربية: دراسة اللغة العربية هي من أولى الأولويات لفهم القرآن وتدبُّره، فالذي لا يعرف اللغة كيف له أن يعرف المعنى؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ..﴾ [إبراهيم: ٤]، ومنه أن الله ﷻ "أنزل القرآن على نبيه بلسان عربي مبين؛ فمن لم يعلم النحو واللغة فلم يعلم اللسان الذي به بيّن الله لنا ديننا وخاطبنا به، ومن لم يعلم ذلك فلن يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولا بد منه على الكفاية"[٨٢]..ولو سقط علم النحو واللغة لسقط فهم القرآن وتدبُّره، ولسقط الدين جملةً، ولذلك تعلم اللغة العربية لهو أمرٌ في غاية الأهمية في مجال تدبر القرآن الكريم، ولذلك نجد كثير ممن دخل في الإسلام يتمنى لو أنه يعرف العربية جيداً ليفهم ما يُتلى من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية ومن كتب العلماء، فنجده يبذل قُصارة جهده في تعلم هذه اللغة، ويجاهد نفسه في سبيل تحقيق ذلك؛ فهي من أصعب اللغات في العالم.

٢. دراسة كتب التفسير: التفسير مطلوب لفهم ما أستصعب فهمه في القرآن، وذلك لمعرفة مكنون القرآن وما يحمله من معاني ومقاصد، ولمعرفة الكلمات الغريبة ودلالاتها، ومعاني الجمل وسياقها، والآيات وتناسبها، والتراكيب وارتباطها.

فعلى المتدبر أن يجعل معه تفسيراً لمفردات القرآن، فلا يمرُّ بالآيات إلاَّ وقد فهم معناها ومرادها، ولذلك "مرحلة التدبر لا تأتي إلا بعد الفهم، إذ لا يمكن أن يطلب منك تدبر كلام لا تعقله"[٨٣]، فالذين لا يعرفون معنى الآيات ذمهم الله وجعلهم في مرتبة الكفار والمنافقين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فهم لا يفهمون القرآن ولا يفقهونه لأن قلوبهم مقفلة عنه، ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ [الإسراء: ٤٦].

ويرتبط التفسير بالتدبر ارتباطاً وثيقاً إذ أن المفسرين في أخذهم لأقوال العلماء يعتمدون على فهمهم واجتهادهم في الآيات لأخذ القول الراجح والأصح بعد إعمال الفكر والنظر من أجل البيان[٨٤]، ولكن هناك فرق يخفى عن كثير من الناس ينبغي التنبه له بين التدبُّر والتفسير أو البيان لكي لا يحصل الخلط بينهما: "فالتفسير والبيان يقف عند حدود

---

[٨٠] **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (٨/٢٥٠).

[٨١] **فضائل القرآن**، للهروي (١٥٧).

[٨٢] **رسائل ابن حزم**، لابن حزم (٣/١٦٢).

[٨٣] **مفهوم التفسير**، لمساعد الطيار (١٨٧).

[٨٤] **مفهوم التفسير**، لمساعد الطيار (١٨٩)، بتصرف.

الفهم، أما التدبر فهو بداية تفعيل الفهم"[٨٥]، بمعنى أن التفسير وسيلة للتدبر ومرحلة من مراحله، والتدبُّر أعم، فليس بالضرورة أن يكون كل تفسيرٍ تدبر، ولكن غالب التدبر هو تفسير لآيات الله مع إعمالٍ لها، بحيث يندمج النظري مع التطبيقي فيكون تدبُراً.

٣. طلب العلم والدعاء: متدبِّرُ القرآن لا ينبغي إلاَّ أن يكون طالباً للعلم، لأن من لوازم التدبر العلم والمعرفة بالفنون المتعلقة بالقرآن، وذلك لا يكون إلا بحضور مجالس العلم وسؤال العلماء الموثوقين، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأهل الذكر هم أهل القرآن الذين يَعلمونه ويُعلِّمونه، فهم مصابيح الأرض تُنير للعابرين سبيلهم وتجيب للسَّائلين إشكالهم، ولذلك فإن من أبواب التدبر والفهم: إكرام أهل العلم وحملته، وإنزالهم منازلهم، والإفادة منهم.

فلا يمكن للمتدبِّر أن يَعمَل إلا بعد أن يَعلَم، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية[٨٦]، فعلى الإنسان أن يعلم أولاً ليفهم ويعقل ما يتلو من القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد: ١٩]، فذكر العلم أولا ليأتي بعده العمل.

المبحث السادس

موانع تدبر القرآن الكريم

موانع تدبر القرآن الكريم هي نقيض ما ذكرناه في أصول التدبر، لأن التلبس بضدها يحول بين القارئ وبين تدبره للقرآن الكريم، ويمكن حصر موانع التدبر إلى عقدية وعملية فيما يلي:

أ. الموانع العقدية: من أهم موانع تدبر القرآن عقدياً التالي:

١. الكفر والنفاق من أهم موانع تدبر القرآن الكريم فقد خاطب الله الكفار والمنافقين بذلك فقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وغيرها من الآيات، فلم يدبَّروا القول وما منعهم من ذلك إلاَّ لِصِفاتهم التي تلازم كفرهم ونفاقهم، كالخداع والفسق والأخلاق السيئة.

٢. الجدال بغير علم و الجهل بالقرآن الكريم هو من موانع تدبر آيات الله تعالى، وهذا نتيجة لعدم الفهم الصحيح لمعاني كلام الله تعالى وادراك مراده سبحانه، قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨]، وهذا الجدال بغير علم لا يكون من ورائه إلاَّ ردُّ الحق ولَبسُ الباطل؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ [الكهف: ٥٦].

---

[٨٥] **نظرة في تدبّر الوحي**، لطارق زوكاغ (١٨).

[٨٦] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للسعدي (٨٠٨).

٣. الاستكبار عن الحق وتكذيبه هو من معوقات التدبر، فقد قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وذلك لأن أنفسهم عرفت الحق وأنكرته؛ فقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

٤. الغفلة والإعراض عن القرآن من موانع التدبر، فلا يمكن أن يتدبر القرآن من هو غافل ومعرض عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦]، وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ولذلك صرف الله قلوبهم لتدبر القرآن وفهم الآيات؛ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

ب . موانع عملية: كما رأينا آنفاً أن للتدبر موانع عقدية؛ فله كذلك موانع عملية، تمنع القارئ من الوصول إلى الفهم الصحيح الذي يُنتج عملاً صائباً، فصاحب القرآن تعرقله موانع في طريقه لتدبر القرآن الكريم وعوائق نذكر من أهمها ما يلي:

١. الذنوب والمعاصي سبب في الحرمان من تدبر القرآن الكريم والخير العظيم، وهي سببٌ في ضلال السبيل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فبسبب هذه المعاصي –التي عمَّت بها البلوى اليوم– قد انصرفت بها الأمة عن فهم القرآن الكريم وتدبره.

٢. الاشتغال بالدنيا هو ممَّا يُذهب التدبُّر والتفكر في آيات القرآن الكريم، وهذا يحدث بانشغال الذهن حال التلاوة بالمُلهيات وشواغل النفس وحاجاتها "التي تُلِحُّ على النفس وتخايل لها، وبذلك تحجب القلب عن التدبر والوعي والتلقي، فينبغي على قارئ القرآن أثناء قراءته ألاَّ يكون جائعاً أو عطشاناً، أو مهموماً قلقاً مضطرباً"، أو بأي شيء يشغل باله عن التركيز والتدبُّر[٨٧].

٣. السرعة في التلاوة وعدم الفهم في القراءة هو مانع من موانع التدبر، فكيف يتفكر في القرآن من يمُرُّ بالآيات مرَّ الكرام؛ لا فَقِهَ ما يقول ولا فَهِمَ ما يتلو، وهذا هو خلافُ ما كان عليه النبي ﷺ من التأني في القراءة، والتَروِّي في الدِراية، وذلك لمَّا سُئل أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: "كانت مداً، ثم قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، يمدُّ ببسم الله، ويمدّ بالرحمن، ويمدّ بالرحيم"[٨٨]، فهي قراءة متمهلة ومتدبرة.

---

[٨٧] انظر: **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، لصلاح الخالدي (٥٣)، بتصرف.

[٨٨] **صحيح البخاري**، (١٢٨٧)، باب مدّ القراءة، كتاب فضائل القرآن، (ح٥٩٤٦).

٤. الاشتغال بأحكام التجويد وتحسين الصوت ممّا يذهب المقصود من التلاوة وهو التدبر، فيهتم القارئ بالتجويد وأحكامه وضبط مخارج الحروف وصفاتها، وكل ذلك وإن كان حسناً، ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم وأولى وأحرى، وهو الفهم والتعمق لآيات الله ﷻ والعمل بها[٨٩].

٥. من موانع التدبر الإخلال بالتدرُّج في تدبُّر القرآن الكريم، والتدرُّج هنا هو أخذ وسائل التدبر التي ذكرناه آنفاً، بحيث ينتقل فيها من الأسهل إلى السهل، ويأخذها على مراحل واحدةً بواحدة، لكي لا تمل النَّفس وتنتكِس ويثقل عليها الأمر؛ «فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا»[٩٠]، ولذلك ينبغي التدرج لتدبر القرآن الكريم، فلو قطعنا حلقةً من حلقاتِه لانحَلَت سِلسلة التدبُّر، ولجُعِل بين القلب وبين فهم القرآن حائلاً.

المبحث السابع

ثمار تدبر القرآن الكريم

لتدبر كتاب الله ﷻ ثمار كثيرة تندرج تحت درجة من درجاته؛ فينال المتدبر الثمرة على حسب الدرجة التي وصل إليه تدبره[٩١]:

الدرجة الأولى: التفكر والإيمان: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يجعل قارئه يتفكر في ملكوت الله وينظر إلى بديع خلقه ويأخذ الحكم والعبر، ويزيد إيمانه، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فتدبر القرآن يزيد صاحبه إيماناً ويقيناً، وكلمَّا أكثر الإنسان من تدبُّر القرآن فإنه يزيد إيمانه ويزيد يقينه ويطمئنُّ قلبه، ويزيد علمه وفقهه، ويجعله ذلك من المتفكرين أولي الألباب.

الدرجة الثانية: التأثر وخشوع القلب والهداية: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يجعل المرء يتأثر لسماع القرآن، ويلين قلبه وتخشع جوارحه؛ ومن ذلك ما قاله الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣]، قال القرطبي رحمه الله: "الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوعَ الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً، وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك، وأما المذموم فتكلُّفه والتباكي ومُطأطأةُ الرأس كما يفعله الجهال، ليُرَوا بعين البِّر والإجلال، وذلك خدعٌ من الشيطان، وتسويلٌ من نفس الإنسان"[٩٢]، ولذلك فإن المؤمنين قد بلغ بهم من التدبر ما إن يسمعوا كلام الله تَوجَل قلوبهم وتدمع أعينهم.

---

[٨٩] انظر: **معلم القرآن والأسس النفسية في منهج التدبر**، لهاشم الأهدل (٧).

[٩٠] **المرجع نفسه**، (٤٧٤)، كتاب الصوم، باب صوم شعبان، (ح١٩٧٠). **صحيح مسلم**، (٥١٣)، كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، (ح٧٨٢).

[٩١] انظر هذا التقسيم: **تدبر القرآن**، لسلمان السنيدي (٦٧).

[٩٢] **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٧١/٢).

الدرجة الثالثة: الاستجابة والخضوع: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يطوع الإنسان إلى ربه ﷻ؛ الذين مدحهم الله في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وصدقوا به؛ ثم استجابوا لربهم سبحانه ولنبيه ﷺ فيأتمرون بما أمروا به وينتهون عمّا نهوا عنه، ولذلك جاءتهم البِشارة من الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، ولهم الرفعة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة؛ يقول النبي ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٩٣]، وهذا لا يكون إلا لمن صاحب القرآن وتخلق به.

الدرجة الرابعة: استخراج الحِكم واستنباط الأحكام: هذه الدرجة خاصة بالعلماء والمجتهدين؛ فمن ثمار تدبر القرآن الكريم وجود علماء ربانيين يَعلَمون الكتاب ويتدبرونه، الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، فيستخرجون من القرآن الحِكم ويستنبطون منه الأحكام، وهم الذين يربُّون النَّاس ويُعلِمونهم أمور دينهم، فجعلهم الله منةً للأمة ونبراساً ينير للسائلين مالا يعلمون من أمور دينهم الحنيف؛ ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وعلى العموم مِمّا سبق من درجات التدبر؛ نقول: أن من أهم ثمار التدبر هو: التأمل والفهم الصحيح لمعاني القرآن؛ وذلك بمعرفة الله والعلم بالحلال والحرام. وكذا نيل الهداية الربانية، وزيادة الإيمان، وطهارة القلب؛ وذلك بالعمل الصواب المُتقبَّل. والتقرب إلى الله ومحبته، واستشعار عظمته وعظمة هذا القرآن، والدخول في صفوة أولياء الله ﷻ؛ الذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه سبحانه.

المبحث الثامن

نماذج تدبر القرآن الكريم عند السلف

من أمثلة تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح مالا يحصى كثرةً، وذلك هو سِرُّ تفضلهم علينا؛ لأن قراءتهم كانت عميقةً مدركةً للمعاني والمفاهيم، فكان القلب يتشبَّعُها بمثابة الوَقودِ للمحرك، فسبقوا بفعل الخيرات مالا نستطيع أن نضاهيهم به أو نفوقهم، وقد كانوا أكثر منَّا عملاً وأكثر إخلاصاً؛ ابتداءً من سيدِ الخلق وإمام المتقين ﷺ مروراً إلى صحابته الكرام ثم التابعين وتابيعهم بإحسان إلى يوم الدين، فمن كنوز أعمالهم في التدبر ما يلي:

أولاً: طريقة تدبرهم للقرآن الكريم: لقد علم السلف الصالح والجيلُ الفالح من الصحابة قيمة القرآن في حياتهم، فكانوا يهيؤون أنفسهم لفهمه ويعملون على تدبره؛ فقد ذكر أبو عمرو الداني بإسناده: "أن رسول الله ﷺ كان يُقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيُعلمنا القرآن والعمل جميعاً، وفي رواية أخرى: كنا إذا

---

[٩٣] **مسند أحمد** (١١/٤٠٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتّى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها"[٩٤]، وهذا التعامل المَهْل مع القرآن الكريم هو الذي جعل قلوبهم تزداد إيماناً وأعمالهم إخلاصاً، وجعلهم يتأملون معاني الذكر الحكيم، ويعرفون بها صفات الرب الكريم، فيسبقون بها إلى جناتِ النَّعيم.

ثانياً: تأثرهم بالقرآن حال تلاوته أو سماعه: كان حال هؤلاء السلف مع القرآن حال المتدبر الخاشع والمشفق الباكي، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، فلقد نقل إلينا من تأثرهم بالقرآن قول عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: "قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله"[٩٥]، فقد شهد لهم الله بتأثرهم بالقرآن الكريم، وكفى بها شهادة أنّ الله قد ذكرهم في كتابه العزيز، الذي يُتلى آناء الليل وأطراف، تُذكر فيه صفاتهم وتُتلى بكل حرف حسنة وأجر، فإن هو تدبرها كانت له نِبراساً ونموذجاً من أبهى النماذج البشرية للحياة الهنية.

ثالثاً: عملهم بالقرآن الكريم: كان عمل السلف بالقرآن السؤدد الذي رفعهم والدستور الذي سيَّرهم، ودلائله عليهم أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر، لكن نقتصر على بعضها؛ قال زيد بن أسلم: "لـمَّا نزَل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا..﴾ [البقرة: ٢٤٥]؛ قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «يريد أن يدخلكم الجنة به»، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟، قال: «نعم»، قال: فناولني يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضا لله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك»، قال: فأشهدك يارسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: «إذاً يجزيك الله به الجنة»"[٩٦]، فهذا هو صنيع من يبيع دنياه من أجل آخرته، اشتروا الجنة بأثمانٍ فانية من الدنيا، رضوا بالقليل من الدنيا، ولم تُرضهم الآخرةُ إلاَّ في الفردوس الأعلى من الجنة، تعبَ والله من سابقهم إليها، ما أشح النفس على الخير وما أتبعها للهوى، تبخل على نفسها بنفسها، وتبحث عن راحتها بشقائها، وعن سعادتها بتعاستها، قد قُلبت عليها الدنيا وعُكست، فلم تنل من الدنيا شيئاً ربحت ولا الآخرة حصلَّت.

---

[٩٤] **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو الداني (٣٣).

[٩٥] **الجامع لشعب الإيمان**، لأبي بكر البيهقي، (٤١٧/٣).

[٩٦] **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٢٢١/٤).

الخاتمة والنتائج والتوصيات

من خلال دراسة هذا الموضوع: (تدبُّر القرآن الكريم وآثاره)؛ فقد خلُصنا إلى جملةٍ من النتائج:

١. فهم ما يُتلى من القرآن هو طريق الوصول إلى التأثير الفعلي على القلب والبدن، فيما يجلب على العبد الراحة والسكينة والطمأنينة.
٢. من أنواع هجر القرآن الكريم؛ هجر فهمه وهجر التداوي به، وكلما أقبل القلب بالفهم والوعي والتدبر زاد ذلك من حلاوته عند القراءة، فيزيد نفعه وبركته في حياة العبد.
٣. المقصود بتدبر القرآن ليس فقط القراءة للوِرد أو حسن التلاوة للقرآن، فذلك وإن كان مطلوباً إلاَّ أن الغاية أبعد من ذلك؛ من خشوع وخضوع والتزام لأوامر الله ونواهيه.
٤. تدبر القرآن وتركيز الذهن في قراءته هو من أقوى العلاجات؛ فهو يشفي من كل شبهة وجهالة، ومن كل شهوة وذنب، وهو شفاء القلوب من أدوائها والأبدان من أسقامها، وله أثر عظيم على النفس والروح؛ لمن أحسن التداوي به وكمل تصديقه وإيمانه وثقته بالله، فهو صاحب الشفاء والأمر بيده سبحانه.
٥. المتدبرُ للقرآن هو مع زمرة الأتقياء والسعداء، الذين علِموا مُراد التشريع ومقصدَ التكليف، فذكروا الله كثيراً وارتقوا مع الملائكة في ذكرهم لربهم جل في عُلاه؛ الذين: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فتدبر القرآن مقامه رفيع وشأنه عظيم، قد رفع المؤمن به قدره، وصان به نفسه، ولا يُوفق لذلك إلاَّ من وفق.
٦. أكبر عائق في فهم القرآن وتدبره هو الجهل والغفلة والذنوب، وكذلك الكفر والنفاق وسوء السريرة؛ فهي تبعد عن الفهم والتقرب إلى مقامات الربانيين العارفين، فالإنسان على حسب نيته وطهارة قلبه، ومن جاهد في الله فالله يهديه إلى سبل الرشاد وسبل الخير كله.
٧. من أهم ثمار تدبر القرآن الكريم زيادة الإيمان بالله والتفكر في ملكوته وعظمته، وهذا يقوي قلب الإنسان ويجعل له نوراً، ويطرد عنه الشياطين وكيدهم، كما يحميه من كل شر، ويجلب له الأرزاق.
٨. أن فهم دين الله ﷻ على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه لهو علاج النفس البشرية وشفاؤها من كل داءٍ وصحتها من كل مرض، فالذي خلقَ هو من يعلم نقطة الضعف والمرض ونقطة الصحة، والصانع أدرى بصنعته، ولهذا فاتخاذ قول الخالق لهو الحلُّ المظمون لكل مشكلة، وهو المنظار الإيجابي في الحياة، فسلفنا الصالح لم تكن تسمع بهم الأمم الأخرى ولم يكن لهم وزن ولم تقم لهم قائمة؛ إلاَّ بعدما فهموا وتدبروا وتشبثُوا بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فهذا هو عزهم الذي أعزهم الله به، وأذلَّ غيرهم بفقده.

التوصيات:

١) يوصي الباحث بفتح مراكز علمية للتدبر بغية انشاء جيل ربَّاني يتعلم أصول التدبر وقواعده، فإن لم تكن مراكز خاصة للتدبر فيقترح ادراجها مع أقسام التحفيظ، وتكون حلقات حفظ وتدبر، وذلك أكمل وأفضل، فحفظ الذكر يحتاج معه إلى فهم وتدبر للمعنى وعملاً به.

٢) كما يحث الباحثُ المدرسين والأئمة والوعاظ بالاهتمام في دروسهم ومحاضراتهم وخطبهم بالتكلم عن التدبر وطريقة الوصول إليه، فالملاحظ في المساجد والمنتديات والندوات وغيرها أن موضوع التدبر قلَّ ما يُذكر، وهذا دليل على فقد الأمة لأهم أسباب حياتها، ولذلك يوصي الباحث المربِّي والمعلم والخطيب في ترغيب الناس في التدبر وتحذيرهم وإرهابهم من تركه.

٣) كما يوصي الباحث على من أوتي درجة من العلم، وكان ممن اختصهم الله بتفقه كتابه وتدبره أن يُعلِّم الناس مما أتاه الله من فضله؛ فيُبينُ لهم ولا يكتُم ما يحتاجون إليه من أمر دينهم وكتاب ربهم، ولا يبخل على نفسه وعلى اخوانه، بتبيِّين الحق من الباطل، وتحبِيب الناس إلى كتاب خالقهم.

٤) ومما يوصي به كذلك: أن يتم توظيف التدبر في بناء المنهج الوسطي للدين، بعيداً عن التطرف والفهم المنحرف والأعمال المشوهة للإسلام، وذلك من خلال نشر غايات التدبر وأهدافها بين الشباب لحمايتهم من الغلو الفكري.

٥) كما يُنصح للمعالجِين بالقرآن أن تكون انطلاقة علاجهم بالورد اليومي من القرآن الكريم والأذكار المشروعة، تكرّر يومياً مع مُصاحبة الفهم له والتدبر واحضار القلب، مع الحرص على الدوام والإستمرار والصبر ومجاهدة النفس على طاعة الله ورسوله ﷺ، ومصاحبة من تُذَكِّر رؤيته بالله سبحانه، والإلحاح على الله بالدعاء.

هذا؛ ونسأل الله تعالى أن يرزقنا تدبر كتابه والتلذذ بتلاوته ومناجاته وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانَا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. «**آثار ابن باديس**». ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي. ط١. تحقيق: عمار الطالبي. الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية. ١٣٨٨هـ/١٩٦٨ م.

٣. «**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**». الإبراهيمي، أحمد طالب. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ١٩٩٧م.

٤. «**أخلاق أهل القرآن**». الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين. ط٣. تحقيق: محمد عمرو بن عبد اللطيف. لبنان . بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥. «**الأذكار النووية**. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. ط.خ: محمد الفياض البارودي. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط. دمشق: دار الملاّح. ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٦. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. د.ط. جدة: مجمع الفقه الإسلامي، دار عالم الفوائد. د.ت.

٧. «**أفلا يتدبرون القرآن**». ناصر العمر. ط١. الرياض: دار الحضارة. ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٨. «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**». ابن تيمية، ط٢. تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل. الرياض: دار اشبيليا. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٩. «**البرهان في علوم القرآن**». الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. ط٣. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر/القاهرة: دار التراث. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٠. «**البيان في عد آي القرآن**». الأندلسي، أبو عمرو الداني. ط١. تحقيق: غانم قدورى الحمد. الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١١. «**التبيان في آداب حملة القرآن**». النووي. ط٤. محمد الحجار. لبنان/بيروت: دار ابن حزم. ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م.

١٢. «**التحرير والتنوير**». ابن عاشور، محمد الطاهر. د.ط. تونس: الدار التونسية. ١٩٨٤م.

١٣. «**تدبر القرآن الكريم**». التويجري، عبد اللطيف بن عبد الله. ط١. الرياض: مكتبة دار المنهاج. ١٤٣٦هـ.

١٤. «**تدبر القرآن**». السنيدي، سلمان بن عمر. ط٢. كتاب البيان: سلسلة تصدر عن مجلة البيان. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٥. «**تفسير البغوي معالم التنزيل**». البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ط١. لبنان/بيروت: دار ابن حزم. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٦. «**تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**». السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين. د.ط. لبنان . بيروت: دار الفكر. ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.

١٧. «**تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**». الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير ط١. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٨. «**تفسير القرآن العظيم**». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ط٢. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. المملكة العربية السعودية/الرياض: دار طيبة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٩. «**تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**». الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. ط٣. تحقيق: خليل مأمون شيحا. لبنان . بيروت: دار المعرفة. ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٢٠. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ط١. تحقيق: سعد بن فواز الصميل. الدمام: دار ابن الجوزي. ربيع الثاني/١٤٢٢هـ.

٢١. «**جامع بيان العلم وفضله**». القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. ط١. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٢. «**الجامع لأحكام القرآن**». القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. ط١. تحقيق: عبد بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٣. «**الجامع لشعب الإيمان**». البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. ط١. تحقيق: مختار أحمد الندوي وآخرون. المملكة العربية السعودية/الرياض: مكتبة الرشد. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٤. «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**». الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. د.ط. القاهرة: دار الفكر. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٥. «**دليل فهم القرآن المجيد**». العتيبي، أبو عبد الملك أحمد بن مسفر بن معجب. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٦. «**رسائل ابن حزم**». ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي. ط٢. تحقيق: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ١٩٨٧م.

٢٧. «**روح المعاني**». الألوسي، محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت.

٢٨. «**زاد المسير في علم التفسير**». ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد. ط١. لبنان/ بيروت: المكتب الإسلامي، دار ابن حزم. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٩. «**سنن ابن ماجة**». ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. د.ط. تحقيق: محمد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية. د.ت.

٣٠. «**سنن الدارمي**». الدارمي، أخرجه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام. ط١. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الرياض: دار المغني. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣١. «**صحيح البخاري**». البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. ط١. دمشق/بيروت: دار ابن كثير. هـ١٤٢٣/٢٠٠٢م.

٣٢. «**صحيح ابن حبان**». ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد. د.ط. ترتيب: علاء الدين ابن بلبان. تحقيق: جاد الله بن حسن الخدّاش. لبنان: بيت الأفكار الدولية. ٢٠٠٤م.

٣٣. «**صحيح مسلم**». مسلم، أبو حسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. ط١. الرياض: دار طيبة. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣٤. «**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ط٤. تحقيق: يوسف الغوش. لبنان/بيروت: دار المعرفة. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣٥. «**فضائل القرآن**». الهروي، أبو عبيد القاسم سلاّم. د.ط. تحقيق: مروان عطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين. دمشق/بيروت: دار ابن كثير. د.ت.

٣٦. «**كيف نتدبر القرآن**». زمرلي، فواز أحمد. ط٥. بيروت: دار البشائر الإسلامية. ١٤٢٤هـ.

٣٧. «**لسان العرب**». ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ط١. بيروت: دار صادر. ١٧رجب١٣٠٠هـ.

٣٨. «**ليدبروا آياته**». مجموعة من المؤلفين. ط٢. الرياض: مركز تدبر للدراسات والاستشارات، المجموعة الرابعة. ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٣٩. «**مجموع الفتاوى**». ابن تيمية، تقي الدين أحمد. ط٣. تحقيق: عامر الجزار، أنور الباز. دار الوفاء. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤٠. «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**». ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. ط١. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. لبنان/ بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤١. «**مختصر منهاج القاصدين**». ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي. ط٩. تحقيق: زهير الشاوش. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م.

٤٢. «**مفاتيح الغيب**». الرازي، محمد فخر الدين ابن ضياء الدين عمر. ط١. بيروت: دار الفكر. ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٣. «**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**». ابن القيم. ط١. تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد. مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الخيرية. جدة/مجمع الفقه الإسلامي . منظمة المؤتمر الإسلامي: دار عالم الفوائد. ١٤٣٢هـ.

٤٤. «**مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**». المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام. ط٣. الهند – الجامعة السلفية بنارس: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤٥. «**مسند الإمام أحمد ابن حنبل**. ابن حنبل. ط١. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. عبد الله بن عبد المحسن التركي(إشراف). بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ/٢٠٠١ م.

٤٦. «**معجم التعريفات**». الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. د.ط. تحقيق: محمد الصديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة. ٢٠٠٤م.

٤٧. «**معجم مقاييس اللغة**». ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء. د.ط. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م.

٤٨. «**معلم القرآن والأسس النفسية في منهج التدبر**». الأهدل، هاشم بن علي. د.ط. د.ن. د.ت.

٤٩. «**المعين على تدبر الكتاب المبين**». حنتوس، سعد بن أحمد. د.ط. مركز المعين. د.ت.

٥٠. «**مفاتيح للتعامل مع القرآن**». الخالدي، صلاح عبد الفتاح. ط٢. دمشق: دار القلم. ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٥١. «**مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**». الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. ط٢. دار ابن الجوزي. شوال ١٤٢٧هـ.

٥٢. «**نظرة في تدبّر الوحي**». طارق زوكاغ. مجلة البيان. قضايا تربوية، العدد٢٧٩.